الباب الثامن في التغفل وفيه ثلاثة فصول الفصل الأول
هذا الباب في ذم البلادة والتغفل ونحوه والتغافل والتثقل

ومعنى التغفل أنه الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة القصد فالمغفل
مقصده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد ورويته في الوصول إلى الغرض غير صحيحة كما
قال بعض الحكماء إذا قعد العاقل الزمن قل على الله مراده احتياجه وكثر إليهم احتياجه
وساورته الأسنة الشكوك واشتبهت عليه مناهج السلوك وقالوا التغفل
قرب الشيء عن موضعه مع التيقن أنه الصواب. حكي أن أحمد بن أبي خالد عرض
القصص يوما بين يدي المأمون فمر بقصة مكتوب عليها فلان اليزيدي فصحفه فقال
الثريدي فضحكه وقال يا غلام ثريدة ضخمة لأبي العباس فإنه أصبح جائعا فخجل
أحمد وقال ما أنا جائع يا أمير المؤمنين ولكن صاحب هذه الرقعة أحمق وضع
على الياء ثلاث نقط كالثاء في الثريد فقال المأمون دع عنك هذا فإن النقط
تشهد الزور والجوع أصدق وحمله على ذكر الثريد قبل أن تأتي بالثريد من احتشم أحمد
من أكله فقال له المأمون بحقي عليك إلا ما أكلت منه فترك القصص ومال إلى
الصحفة وأكل منها قليلا ثم دعا بالماء وغسل يديه ورجع إلى القصص فمر
بقصة عليها مكتوب فلان الحمصي فقرأ الخبيصي فضحك المأمون وقال يا
غلام جام خبيص فإن غداء أبي العباس كان أبتر فخجل وقال يا أمير المؤمنين
صاحب هذه الرقعة أحمق من فتح الميم فصارت كأنها سنان قال دع
عنك هذا فلولا حمقه وحمقك لمت جوعا فأتي بجام
خبيص فأتي به فأكل منه حتى استحيا فقال له المأمون بحقي عليك إلا ملت
نحوه وأكلت فانحرف إليه وأكل منه ثم غسل يديه وانحرف إلى القصص وأمر
في قراءتها وثبت في حروفها فما مر بحرف فيها حتى أتى على آخرها
ومما أخرجه من مزاج التغفل فما حسن ورأيته ذرا ضمنته أمراقه
منزلة الثاء والزاي. ذم أبو عبيدة معمر بن المثنى كيسان مستمليه ومن أملى
عليه شيئا فعجز عن إدراكه فقال والله ما فهم ولا زعم أنه فهم. وقال الجاحظ
كان كيسان مستملي أبي عبيدة يكتب غير ما يسمع ويستملي غير ما يكتب
ويقرأ غير ما يستملي أمليت عليه يوما عجبت لمعشر عدلوا بمعتمر أبا عمرو فكتب

ابا

أبا بشر واستملى أبا زيد وقرأ أبا حفص وسأله أبو عبيدة عن رجل من شعراء العرب
ما اسمه فقال خراش أو هراش أو خماش أو رياش أو شيء آخر وأظنه قرشيا
فقال له أبو عبيدة من أين علمت أنه قرشي قال رأيت اكتناف
الشينات عليه من كل جانب. وحكى الجاحظ عنه أنه شهد على رجل من بعض
الولاة فقال سمعت بأذني وأشار إلى عينيه ورأيت بعيني وأشار إلى
أذنيه أنه أمسك بلحية فلان وأشار إلى كبده وما زال يضربه على رأسه
وأشار إلى ركبتيه فضحك الوالي وقال الحسن قرأت كتابا خلوتي باه
على الله ... فقال نعم من تعبر وحكي بعض البلغاء يوما فقال لم تفهم ولكن
يفهم ويتفقه شيئا يوم وكم يعلم وكم يتعلم ويتفقه من يتعلم. وسأل أبو
عون رجلا عن مسألة فقال على الخبير بها سقطت سألت عنها أبي فقال سألت
عنها جدك فقال لا أدري. وقالوا فلان يسمع غير ما يقال ويحفظ غير ما يسمع
ويكتب غير ما يحفظ ويقرأ غير ما يكتب. وقالوا فلان ذو بصيرة عمياء
عن تأمل العواقب وتجربة عمياء عن تشابه النوائب. وقال شاعر يهجو رجلا
جاهلا: جهول غارق في لحم وشحم ... ولم ينسب إلى عقل وفهم
إذا انسب البياض فمثل فحل ... وإن نسب السواد فمثل فحم

قال ابن شبرمة رجل حاكم عن نياته عنده ملح بلحي محبته أنت والله
وسلاح عدوك وخزينة في نطقك ونقطاء في عود أهله وما أحكم من قال
ثم له ما ثم من حشمه ... حتى إذا ما بلغ العقل
أدركه الحرمان من ربه ... سبحانه من حاكم عدل

ومن تناهى في عداد الحمقى الصواب الباهي فيكاد ...
والباهي أحمد بن الخصيب وزير المستعين ... قال أبو
العيناء كنا بباب ... حكي فيه أن جماعة من الفضلاء اجتمعوا في مجلس
وكل منهم يحكي عن ابن الخصيب لما كان فيه من الحراقة والجهالة والتغفل
والتغفل فيتجاذبون أطراف الكلام في ذلك فقال علي بن بسام كان فيه
قام من العقل وسعة من الحلم وقال ... لو كان له ابنة
لتقاعس في عنانه وحرن في ميدانه وقال جعفر بن عبد الواحد أحسن